وننظر لحالتنا وقابلها على حالة جيراننا الذين سبقونا بكل شيء ونشمر عن ساعد الجد والاجتهاد ونتعاون كما أمرنا على البر والتقوى وان نؤلف جمعية من نخبة الشبان العلماء البعيدين عن الخرافات ونباشر بعرفتها جمع المال اللازم لتأسيس مدرسة وطنية لاجل تعليم البنين والبنات تكون على أحسن طرز ان شاء الله وبه المستعان وعليه الاتكال (ف ع)

التلميذة في دمشق

آثار عربية

تاريخ التمدن الاسلامي

صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب لمؤلفه جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو يبحث « في العلم والادب وما كان منهما عند العرب قبل الاسلام وما أحدثه الاسلام من التغيير في القرائح والعقول وما نقل عن اللغات الاجنبية من العلوم وما كان من تأثير التمدن الاسلامي في كل ذلك » فما كان قبل الاسلام هو النجوم والانواء والميثولوجيا والكهانة ويعني بالميثولوجيا الخرافات المتعلقة بتأليه النجوم وغيرها وكل ما تقدم من الخرافات واما العلم الحقيقي الذي كان عندهم فهو التاريخ والانساب فرع منه والادب ومنه الشعر والحطابة وما هو ممزوج من الحقيقة والوهم وهو الطب وقد ذكر المؤلف هذه كلها سردا لا على وجه التقسيم . وكانوا يعرفون علوما أخرى لم يتكلم عنها كعلم الريافة (استنباط المياه من الارض) والقيافة والعيافة والزجر وغير ذلك ولم يكن شيء من هذه العلوم مدونا في الصحف والكتب بل كان مما يعملون به ويتناقلونه باللسان لانهم أميون . واما العلوم الاسلامية فهي لسانية ودينية وعقلية وكونية وفيها أكثر مباحث الكتاب

وذكر المؤلف في مقدمته أن من الافرنج من هضم في كتبه المسلمين او العرب وغمص حقهم العلمي فلم يعترف بفضلهم بل زعم أنهم افسدوا ما نقلوه ومنهم من أنصف واعترف بفضلهم وهم المستشرقون الذين بحثوا وعرفوا ولكن بعض هؤلاء أطنب في مدح العرب وذكر لهم من المزايا ما لا يوجد له ذكر في كتبهم مع ان الكتب العربية هي منبع التاريخ والمعارف الاسلامية وأنه هو توسط بين الطرفين . ولكن لا يخفى عليه انه لا يصح

ان نجمل مابين أيدينا من الكتب هو الميزان لمعارف العرب فان معظم كتب سلفنا قد ضاع من أيدينا ولم يبق لنا الجهل بقيمة تلك الآثار ، ومايلزمه من سوء الاختيار ، الا أدنى الكتب وأقلها فائدة ومكاتب الافرنج مملوءة بتلك الذخائر المفقودة ، والآثار الضائعة ، ثم أن الاجنبي عن الأمة قلما ينصفها في فضلها تمام الانصاف ، وأقل من ذلك وأبعد عن المعقول ان يهبها ماليس لها من المزايا والاوصاف ، الا أن يكون الكاتب من أصحاب الاهواء المعروفة ، لا من أهل العلم والمعرفة ، ومن الهوى حب الاغراب ، والكذب في المبالغة والاطناب »

وقد قرأنا نبذا من الكتاب متفرقة فرأيناها شاهدة لما نعتقده في المؤلف من الانصاف ولكننا رأينا بعض المسلمين يرميه بالتعصب ووصلت شكواهم منه الى أكبر معاهد العلم الاسلامي في مصر وهذه الشكوى لاتزيد على ما كتبه الينا بعض أهل العلم في دمياط وقد طلب منا كغيره الرد عليه فرأينا من الظلم أن نجازي من يتعب في خدمتنا بذكر هفواته قبل التنويه بفائدة كتابه ولذلك بادرنا الى تقريظه قبل مطالعته . وهذا نص الكتاب الوارد من دمياط

« قرأت مانشر صاحب الهلال في هذه الايام الاخيرة من تاريخ التمدن الاسلامي فوجدته وان نوه بما للاسلام والمسلمين من الفضل الا ان في طوايا الكتاب وزوايا الكثير من صحائفه مايرمي المسلمين في العصر الاول بالجمود والتعصب الديني فان لم يتيسر لك تصفح الكتاب فانظر الصحيفة التاسعة والثلاثين .

ليس هذا كل ماأقصد من الكتابة لحضرة الفاضل صاحب المنار وانما أهم مادعاني الى الكتابة استلفات نظره الى مسئلة دينية اشار لها حضرة الكاتب تحت عنوان (المأمون والاعتزال) صحيفة ١٤١ وهي مسئلة الخلاف في القرآن هل هو مخلوق او غير مخلوق فانه حرفها بظنه وفسرها برأيه حيث قال بعد ان نوه بفطنة المأمون وميله الى البحث العقلي مانصه (فتمكن من مذهب الاعتزال وأخذ بناصر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء ومن جملتها القول بخلق القرآن أي انه غير منزل) فاستلفت نظرك أيها الفاضل لقوله اي انه غير منزل بل الى الكتاب كله والسلام »

(المنار) : أما ماجاء في (ص٣٩) فهو منتقد ولكنه معتقد المؤلف فيما أرى ولم يقصد به إهانة الاسلام والنيل منه قال : كان الاسلام في اول امره نهضة عربية والمسلمون هم العرب وكان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب أرادوا المسلمين وبالعكس. ولأجل هذه الغاية أمر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب :

ونقول ان هذا غلط سرى للمؤلف من استعمال الاجانب من عهد بعيد فأطلقه والصواب ان المسلمين في صدر الاسلام كانوا يطلقون كلمة العرب أحيانا في مقابلة المسلمين فيعنون بهم المشركين ولم يكن اللفظان مترادفين عند المسلمين في وقت ما على الاطلاق بل كانو يطلقون لفظ المسلم والمسلمين على كل من دخل في الاسلام واذا أطلق على العرب خاصة كان مجوزا يعرف بالقرينة . ولم يخرج عمر غير المسلمين من الجزيرة اجتهادا منه هذا بل عملا بامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد اوصى بذلك في مرض موته . ثم قال المؤلف :

«واساس الاسلام وقوامه القرآن فني تأييده تأييد الاسلام والعرب. وتمكن هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم أنه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن وشاع هذا الاعتقاد خصوصا في ايام بني امية وقد بالغوا فيه حتى آل ذلك فيهم الى نقمة سائر الامم عليهم »

ونقول ان القرآن بلا شك اساس الاسلام ولكن ليس فيه ما يدل على ان العرب يجب ان يكونوا ممتازين على غيرهم بل يقول «ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » نعم ان تاييد العرب له تأييد لهم اذ لولاه لم يخرجوا من ظلمة جاهليتهم ولكن فتح بلاد الروم والفرس لم يزد الصحابة اعتقادا بما ذكره وإنما كانوا يعتقدون كما يعتقد كل مسلم الى الآن والى ماشاء الله من انه لا يصح ان يعتد بان شيئا من الدين الا ماجاء في القرآن والسنة او ارشد اليه الكتاب او السنة وهذا الاعتقاد لا يمنع جواز قراءة كل كتاب نافع والانتفاع بكل علم في امر الدنيا لاسيما وقد قال لنا نبينا «انتم اعلم بامور دنياكم » وامرنا ان نطلب العلم ولو بالصين وأن ناخذ الحكمة اينما وجدت. وما كان من امر بني امية فهو من الاثرة

والطمع ولم يميزوا انفسهم على الاعاجم وحدهم بل ميزوها قبل كل شيء على آل بيت النبي عليه وعليهم السلام . ثم قال

« أما في الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام أن الاسلام يهدم ما قبله فرسخ في الأذهان أنه لاينبغي أن ينظر في كتاب غير القرآن لأنه جاء ناسخا لكل كتاب قبله » اه وتقول إن معنى هدم الاسلام لما هو قبله أن من دخل فيه لا يؤاخذ على الكفر والمعاصي التي كان عليها قبله كما يعلم من النصوص الصريحة وليس معناه أنه أبطل العلوم والفنون الدينية والدنيوية معاً كيف وأكثر المسلمين يقولون الى اليوم بأن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد عندنا ماينسخه بخصوصه . وأما نهي النبي (ص) عن النظر في كتب اليهود وعن تصديقهم وتكذيبهم فسببه عدم الثقة بما ينقلونه عن كتبهم على أنها محرفة وقد نسوا حفظا مما ذكروا به ومثلهم في هذا النصاري وقد خالف هذا النهي بعض الرواة فأدخلوا في كتب المسلمين من الاسرائيليات ماشوه كتب السير والتفسير والحديث بالأكاذيب والخرافات ولولا نقد الحفاظ لاختلط علينا الامر بسوء قصدهم او فهمهم كما اختلط على من قبلنا . وقد جعل المؤلف هذه النبذة مقدمة للنبذة التي يرجح فيها ان العرب هم الذين أحرقوا مكتبة الاسكندرية وما كان أغناه عن ذلك

هذا ما أشار اليه الدمياطي عن (ص ٣٩) وأما تفسير المؤلف لخلق القرآن بما فسره به في (ص ١٤١) فهو من اجتهاده الغريب الذي انفرد به ولم يخطر على بال أحد قبله من المعتزلة ولا من أهل السنة فان هؤلاء لايكفرون المعتزلة بالقول بخلق القرآن والفريقان مع سائر الفرق الاسلامية على إجماع واتفاق على كفر من يقول أن القرآن غير منزل لأن هذا القول تكذيب صريح للقرآن وللنبي لايحتمل التأويل ولا التعليل والذي يقول به يستحيل أن يلتزم شيئا من عقائد المسلمين وعباداتهم . وانما يعنون بخلق القرآن ما كانوا يسمونه مسألة اللفظ وهو أن ألفاظ القرآن التي يكيفها التالي بصوته مخلوقة ومن فوائد انكار أهل السنة والجماعة لهذا القول أنه ربما يفضي الى أن يقول بعض الناس أنه يلزم من حدوث ألفاظ القرآن أن لايكون منزلا من الله تعالى — كما قال المؤلف — فيخرجوا من الاسلام

وإنا لنعلم أن كثيرا من المسلمين يظنون أن المؤلف يتعمد أمثال هذا القول

طعنا في الدين وتشكيكا في الاسلام وقد صرحنا من قبل باعتقادنا فيه وأنه يقول ما وصل اليه علمه بحسن نية وأنه ليس من متعصبي النصارى الذي يرضون تعصبهم بافساد العلم كاليسوعيين الذين حرفوا كتب المسلمين لهذا الغرض حتى لا ثقة بكتاب يطبع عندهم وبينا سبب وقوع هذه الأغلاط في كتب جرجي افندي زيدان وهي أنه لم يدرس المسائل الاسلامية ويأخذها عن أهلها من كتبها وإنما يتناول نتفاً منها من كتب التاريخ والادب وغيرها فيجيء بيانه للمسألة أو حكمه عليها خطأ في بعض الاحيان مهما كانت ظاهرة جلية في مواضعها كما صرحنا بذلك في تقريظ الجزء الثاني من هذا الكتاب . وعذر الذين يسيئون الظن فيه أنه يقول في الاسلام بما لم يقل به أحد ويعزو الى أهله ما لم يخطر لاحد منهم ببال من غير دليل كتفسيره مسألة خلق القرآن بانه غير منزل من الله والحقيقة ما قلناه وليس لنا ان نعد ما هو بديهي عندنا بديهيا عند المخالفين لنا في الدين الذين لم يدرسوه دراستنا لعدم حاجتهم الى ذلك . نعم كان ينبغي لهذا المؤلف الذي نعهد فيه الانصاف وحب الحقيقة ان يعرض المسائل الدينية الاسلامية المحضة على عالم مسلم قبل تدوينها وهي قليلة لا تزيد في عنائه على مراجعة الكتب في المكتبة المصرية . وفي الكتاب مباحث أخرى تستحق النقد ربما نعود اليها في وقت آخر وفيه فوائد كثيرة لا تجدها مجموعة في كتاب عربي

وإنا مع هذا نشكر للمؤلف عنايته واجتهاده وسبقه الى إدخال أساليب التأليف الحديثة في اللغة العربية ونرجو أن يزيد في التحري مع الاعتراف بأنه لا عصمة لأحد في اجتهاده ونحث أهل العلم والبحث على النظر في كتبه هذه ومن كان ينتقدها على الاطلاق فليأتنا بخير منها نكن له من الساعين الشاكرين وصفحات هذا الجزء ٣١٤ وثمن النسخة منه عشرون قرشا

ثلاثون عاما في الاسلام

كتاب وضعه موسيو ليون روش السياسي الفرنسي الذي أقام في بلاد المسلمين ٣٠ سنة تعلم في أثنائها اللغة العربية وفنونها وقرأ العلوم الاسلامية وعاشر المسلمين في الجزائر وتونس والاستانة ومصر والحجاز وقد عربت جريدة اللواء المصرية عنه

الجملة الآتية (في عدد ١٥٠٦ الصادر في ٢٢ ج ٢) فنشرناها نقلا عنها لتكون حجة على متعصبي النصارى وعلى أمثال صاحب جريدة اللواء الذي ينتصر للمشايخ الجامدين الذين وصفهم صاحب الكتاب كما يحامل على المصلحين الذين يبينون انطباق الاسلام على المدنية الفاضلة ويدعون الى أصوله الكاملة التي طمس التقليد معالمها ، وعبرة لنابتة المسلمين أبناء الثربة الحديثة الذين كفروا بهذا الدين تقليدا للافرنج الجاهلين به أو المتعصبين على أهله قال المؤلف

« اعتنقت دين الاسلام زمناً طويلا لأدخل عند الامير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا وقد نجحت في الحيلة فوثق بي الامير وثوقا تاماً واتخذني له سكرتيراً. فوجدت هذا الدين الذي يمدحه الكثيرون أفضل دين عرفته فهو دين انساني طبيعي اقتصادي أدبي ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية الا وجدته فيه مشروعا . بل اني عدت الى الشريعة التي يسميها جول سيمون الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت أخذاً عن الشريعة الاسلامية . ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما . بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب . فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءاً ثم هو لا يستحل المحرم في طلب الرزق ولذلك كان أقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين

ولقد وجدت فيه حل المسئلتين الاجتماعيتين اللتين يشغلان العالم طراً. الاولى في قول القرآن (انما المؤمنون اخوة) فهذا أجمل مبادئ الاشتراكية. والثانية فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصبا ان امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية

همت بحب فتاة جزائرية اسمها خديجة وشغفت هي بي حبا . اني كلما تذكرت هذا الحديث أذوب أسفا . تبادلنا الغرام وتشاكينا الهيام وهي لا تعرف من أمري الا اني مسلم . وكان حبي لها حباً جرى مجرى دمي في مفاصلي فأردت ان أتخذها زوجة وان أرحل بها الى فرنسا حين قضاء مهمتي فاطلعتها على شيء من سري . وأسفاه . انها حين علمت بذلك نهضت من جنبي مصفرة الوجه مطرقة الرأس وقالت الوداع الوداع اني أحبك فلا أستحل افشاء سرك ثم اني احب قومي فلا استحل

أن أبقى بينهم عارفة بأمر يسوءهم ولذلك لاينبغي لي أن أعيش فالوداع . ثم طعنت فؤادها بخنجر فسقطت ميتة . وإني لأأنساها مادمت حياً

ذلك من تأثير هذا الدين الكريم انه دين المحامد والفضائل . ولو انه وجد رجالا يعلمونه الناس حق العلم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين . ولكن وجد بينهم ويالالأسف شيوخ يحرفون كلمه ويمسخون جماله ويدخلون اليه ماليس منه . واني تمكنت من استفتاء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والاسكندرية ومكة فكتبوا الى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسويين وبأن لاينزعوا الى ثورة وبأن فرنسا خير دوله أخرجت للناس، ومنهم من أفتى بأن فرنسا دولة اسلامية أكثر من الدولة العثمانية وكل ذلك لم يكفني غير بعض الآنية من الذهب

مثل هؤلاء الشيوخ الذين يحسبون هذا الدين ملكا لهم لاينبغي لغيرهم شرحه وتفسيره — مثل هؤلاء الشيوخ الذين يقاومون المصلحين ويسمون كل تأويل غير تأويلهم كفراً وإلحاداً — مثل هؤلاء الشيوخ هم علة تأخر الاسلام والمسلمين . سمعت في الجزائر وتونس أن الشيخ محمدا عبده المصري يفسر القرآن تفسيراً منطبقا على العلم والمدنية والانسانية فوجدت كثيراً من الشيوخ الجامدين يرون في ذلك بدعة ويقولون ما أتى بمثل هذا أحد من الأولين . فكأنهم يرون هذا الدين متاعاً لايخص غير الرازي والجمل والسيوطي وغيرهم من المفسرين السابقين ولايخص سواهم من العلماء المجتهدين. انه اذا من الله على الاسلام بشيوخ عقلاء مثل الشيخ محمد عبده وغيره من المصلحين كان خير دين أخرج للناس وكان المسلمون أرقى العالمين اه

(المنار) قد سرنا من نشر جريدة اللواء لهذه النبذة كما سرنا من كتابة ذلك الفرنسي لها فعسى أن نراها بعد الآن معترفة على الدوام بمثل ما اعترف به هذا السياسي الكبير والعالم المنصف وان لاتنتصر بعد لأولئك الشيوخ الجامدين على العقلاء المصلحين وان كان الحق يعلو كل انتصار حيث يجد حرية . وأن تستفيد بما ينشر المنار من ذلك التفسير الذي هو حجة الله على العالمين في هذا العصر ومن سائر محاسن الاسلام وحكمه ومزاياه. فلا يليق بمن ينتحل لنفسه خدمة الاسلام في مصر أن يجهل او ينكر ما فيها من الاصلاح الذي يعرفه ويعترف به الفرنسي في باريس